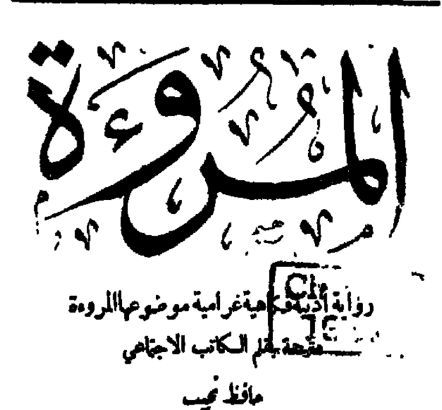


المروءة

رواية أدبية فكاهية غرامية موضوعها المروءة

مترجمة بقلم الكاتب الاجتماعي

حافظ نجيب

مترجم الكتب الاجتماعية ـ روح الاعتدال ـ غاية الانسان ـ الناشئة ـ الغرور ـ دعائم الاخلاق ـ مناهج الحياة ـ ومترجم روايات جونسون » رواية ـ ملتون توب ٨ روايات ـ وصاحب الروايات التي تظهر باسم معربات حافظ نجيب

تطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها الحاج مصطفى محمد

مطبعة التقدم بدرب العنبه بشارع محمد علي بمصر

كلمة للمعرب

المروءة النخوة وكمال الرجولية وهى آداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات . والمروءة فى الحقيقة قوة نفسية لماقوة الغريزة وقل أن تكون اكتسابية وقد كانت المروءة فى الازمان الخالية أفضل الصفات التى يتكمل بها الانسان ويفاخر بها القوم القوم وقد قال الله تعالى فى كتابه الحكيم ؟

إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون

وهذه الآية جماع كل مايدل على المروءة :

قال قرشى : المروءة إطعام الطعام وضرب الهام . وقال ثقفي : [illegible] وإصلاح المعيشة وقال حكيم المروءة أن تعطى من [illegible] ذلك . وقال آخر . المروءة أن تحقق التوحيد وتركب المنهج السديد وتستدعى من الله المزيد . وقال الاحنف : المروءة اجتناب الريب فانه لا ينبل مريب وإصلاح الحال فلا مروءة لمن يحتاج قومه إلى غيره :

فالمروءة صفة جامعة تجمع كل هذه الصفات المختلفة فاذا

كانت المروءة من صفات الرجل كان فخر قومه . فاذا فقد الرجل المروءة فقد كثيرا من الصفات بل فقد الرجولية وفقدان المروءة يسقط الى النذالة وهى من العيوب الشائنة .

كانت المروءة فى الازمان الخالية من أحب الصفات الي الخلق وكانت مظاهرها أوضح المظاهر ونوادر ذوى المروءة كثيرة تتناقلها الالسن أما الآن فقد فقدت المروءة من الناس ومن المتعذر أن تجد فى مئات الالوف فردا واحدا يمتاز بالمروءة. أما الذين تسمعون عن أعمالهم الخيرية فى الصحف فأولئك من طلاب الشهرة الكاذبة يشترون الاعلان عن أنفسهم بمبرات قليلة الحادي اليها الرغبة في الظهور لا انبعاث النفس الي الخير بدافع المروءة . فاذا شق عليكم أن اؤكد لكم فقدان المروءة الصحيحة من الاحياء الموجودين فاسألوني أثبت لكم بالبرهان صحة هذا القول الذى أرسله وعلى مسئوليته

حافظ نجيب

القاهرة نوفمبر سنة ١٩٢٨

العودة

اميل برتران مهندس ميكانيكي قضى كل حياته في العمل وبذل في شبابه جهدا عظيما فحصل علي ثمرة جده واجتهاده ثروة عظيمة ومصنعا كبيرا من مصانع الكهرباء وقصرا خلويا بجانب المصنع يدعى لا كوتينير وآخر في باريز جعله في الأيام الأخيرة مقره وترك المصنع لولده بيير برتران وترك له قصر لا كوتنيير يقيم فيه مع زوجته

ابتسم الدهر لهذه العائلة زمنا فكان الولد يباشر أعمال المصنع بدلا من والده وهذا ينتقل من قصره في باريز الى قصر ولده إلى قصر آخر في شانتني لتبديل الهواء والتمتع بمشاهد الطبيعة البديعة في ذلك الخلاء المزهر بلغ الشيخ الستين من سني حياته غير أنه بقى محافظا على صحته وعافيته واعتدال قامته والرصانة التى اشتهر بها طول حياته

وصل الشيخ الوقور يوما إلى قصر ولده بسبب وليمة أولمها بيير لجماعة من أصدقاء العائلة فاستقبلته في القصر هنريت زوج ولده فقبلها الشيخ في جبينها وأخبرها بأنه سبق العائلة

وبأن زوجته وابنتها ايفون والصغير جوليان قادمون خلفه في العربة ثم سألها عن اختها ميشلين فقالت :

ـ هي بخير وستراها الآن على المائدة مع المدعوين وسيكون بينهم المسيو درنير الذى يطمع بالاقتران بها

وفي هذه اللحظة سمع الاثنان صوت قدمين يصعدان السلم المؤدى إلى الشرفة التي هما بها فحولا نظرهما إلى القادم فوجداه رجلا في الثلاثين من سني حياته قوي العضلات طويل القامة عليه دلائل الفتوة والعافية يرتدي ثوبا من ثياب الصيد وعلى رأسه قبعة رخوة كبيرة . فاستولت عليها الدهشة عند رؤيته وبقيا لحظة في ذهول منعهما من الكلام فقال الرجل وهو يقترب منهما مبتسما .

ـ هل تغير وجهي تغيرا تاما جعلكما لا تعرفاني ؟

فقال الشيخ برتران وهنريت في وقت واحد

ـ كلود . . . كلود . . .

فابتسم القادم وصافح يد هنريت التي امتدت اليه أما الشيخ فبدت على وجهه بعض دلائل الامتعاض وانكمش فلم يظهر الابتهاج في استقبال القادم .

وكلود إبن أخي زوجته فقد والديه وعمره لم يتجاوز العام الواحد فربته عمته السيدة برتران فى قصر زوجها مع ولدها بيير . ولكن الشيخ إميل برتران كان يعطف علي ولده عطفا عظيما وينفر من الولد اليتيم فلا يحنو عليه ولا يدنو منه ولا يشجعه بقبلة من القبلات التي يجود بها على ولده بيير أهمل الشيخ برتران تربية كلود اليتيم اهمالا تاما فلم ينجح فى الامتحانات النهائية الدراسية فتخرج بيير برتران من المدرسة مهندسا بارعا ولم ينجح كلود فى مدرسة الطب ولا فى مدرسة الحقوق فسئم الشاب البقاء فى باريز وانخرط فى سلك الجيش البحري في العمارة الفرنسوية فقضى فى الخدمة أربعة أعوام

فلما انتهت خدمته في البحرية عاد إلى باريز وأقام بها وقتا قصيرا بدد فيه ثروته القليلة التى ورثها عن والديه وهو يعالج الاشتغال بالأعمال المالية والتجارة والمضاربة فلم يتسم له الحظ في عمل من كل الأعمال التى عالجها برغبة قوية في النجاح . فلما خلا جيبه من المال تكلم بعض أصدقاء الشيخ برتران معه بخصوص كلود وطلبوا منه أن يعاونه

بنفوذه وجاهه على إيجاد عمل له يربح منه ما يقوم بحاجات العيش فخجل الشيخ من أصدقائه وعرض على الشاب عملا إداريا فى المصنع الذى يتولى ولده ادارته فلم يبتهج كلود بهذا المركز فأغفل برتران أمره ولم يكرر عليه العرض

وحدث مرة أن أحدا من أفراد العائلة طرح فى جلسة موضوع كلود للبحث فيما يجب عمله لاصلاح حاله فذكره الشيخ برتران بعبارات لم يرض عنها كلود عند ما نقلت اليه فحفظها للشيخ وتفر منه ثم سافر يوما بدون إنذار سابق إنما كتب كتابا إلى عمته ينبئها بعزمه علي مغادرة البلاد كلها والسفر إلي الخارج للبحث عن الثروة وكانت السيدة برتران طيبة القلب رقيقة العواطف كثيرة الحنان علي الفتى المنكود الحظ فبكت إشفاقا عليه بكاء مرا فتألم برتران لحزن زوجته وتنبه ضميره فأنبه على اغفاله أمر ذلك الشاب القوى الارادة المتوقد الذهن العظيم الصبر

بقيت العائلة زمنا طويلا ترجو عودة كلود فمرت الشهور تلو بعضها ثم الاعوام والشاب غائب لا يهتدى أحد إلى مكانه ولا يدل هو عليه بكتاب أو برسالة . انقضى زمن

طويل جعل القوم ييأسون من عودته ثم تناسوه قليلا قليلا حتى لم يعد يخطر لهم ببال

فلما ظهر أمام برتران وهنريت فجأة تولتهما الدهشة فضحك الشاب ضحكا عاليا لانه كان على يقين من أن القوم فوجئوا مفاجأة ومن أنهم لم يكونوا ينتظرون عودته إليهم فاستاء برتران من ضحكة كلود وقال

— من حقنا أن تتولانا الدهشة لظهورك بيننا فجأة وكان الواجب عليك أن لا تبقى كل ذلك الزمن الطويل بدون أن تكتب إلينا لنطمئن عليك .. لقد تولانا اليأس من عودتك وظنناك فى عداد الأموات ..

وقالت هنريت

— أما أنا فقد كنت على يقين من عودتك الينا سالما وكنت أصلي من أجلك فى كل مساء قبل النوم

فشكر كلود هنريت علي عبارتها وسألها عن زوجها بيير وعن صحته فأخبرته بأنه فى عافية وهناء لا مزيد عليهما وأنه سيحضر بعد وقت قصير لتناول طعام الغذاء . ولم يطق الشيخ برتران البقاء صامتا فقال

— وأين كنت يا كلود كل هذا الزمن الطويل وماذا كنت تعمل ؟

— كنت فى بلاد كثيرة في أمريكا وتقلبت فى يد الظروف ومختلف الاعمال فكنت كاتبا فى محل تجارى فى بوستون ثم بائع صحف فى نيويورك ثم حمالا فى المحطة ثم ملاحا فى باخرة تجارية ثم انتقلت الى الارجنتين وعالجت تربية البهم فنجحت أخيرا وربحت ارباحا طائلة واشتريت أملاكا كثيرة وزاد لى من الربح فى هذا العام ٣٠٠٠٠٠ فرنك فجئت لازور الاهل والاصدقاء ولاقضى أياما فى بلادى بعد طول غيبتى عنها .

وكانت ميشيلين اخت هنريت نزلت بدون أن يشعر بها كلود فاستولت عليها الدهشة عند رؤيته ولم تشأ أن تقطع حديثه فوقفت خلفه تصغى بانتباه فلما انتهى من قصته ضحكت وقالت

— هذه قصة مشجية تشبه قصص الابطال التي نطالعها فى الكتب ..

فلما رأى كلود ميشيلين ابتهج وقال وهو يصافحها :

— يالله ! لقد صرت فتاة يا ميشيلين ألم تعودي في صورة ميشيلين التي تركتها قبل رحيلي صغيرة كثيرة الوجوم والحياء

تحقق كلود من وجه ميشيلين فألفاها صبية باهرة الحسن جميلة الوجه هيفاء دعجاء حسناء خفيفة الروح تؤثر في القلوب بملاحتها وظرفها فاختلج قلب الشاب من انبهاره بجمال الفتاة وقال

ـ كم عمرك الآن يا ابنة العم ؟ اسمحي أن اناديك دائما بابنة العم كما كنا نفعل وأنت صغيرة فاننا كنا أصدقاء ولا زلت أحافظ على هذه الصداقة إلى الآن

ـ بلغت الآن التاسعة عشرة يا كلود .

ووصل بيير برتران أيضا فاستقبل كلود وحياه وصافحه ثم تحول الى زوجته هرييت وقال

ـ لقد وصل ضيوفنا فانني رأيت غبرة العربات في الطريق

ثم تحول الي كلود وقال

ـ سترى الآن أصدقاء كثيرين يا بن العم

فنظر الشيخ برتران الى ولده نظرة امتعاض فرآها كلود فأدرك الغرض منها فتألم ولكنه كتم ذلك في نفسه وقال يعتذر

ـ سنرجيء هذا السرور لوقت آخر لانني جئت اليوم في ثوب لا يصلح لمقابلة الضيوف به

فوافق الشيخ برتران على قول الشاب وأمر ولده بيير بارشاد كلود الي الغرفة التى تخصص له وبارسال خادم الى المحطة لاستحضار الامتعة والحقائب

فشكر كلود الشيخ وقال

ـ لا تزعج نفسك ياعماه بأمري فلي منزل استأجره لى السجل دي لاروش به كل مااحتاج اليه من الفرش وقد نزلت به من الليلة الماضية

ثم استأذن الشاب للانصراف وخرج من الباب الخلفي للقصر حتى لا يصادف الزائرين فى الطريق

الوليمة

انتهى القوم من تناول الطعام ثم غادروا غرفة المائدة وجلسوا فى قاعة الاستقبال الفسيحة وفى الشرفات التي تحيط بها . فجلست السيدة برتران مع زوجة العمدة ومع الآنسة صوفيا سلمة ميشيلين يتحدثن فى رزانة ووقار: وجلس الشيخ برتران وولده بيير وفالانتين يتناقشون فى بعض المشروعات الاقتصادية

وجلست ميشيلين وإيفون فى ناحية من القاعة ولحق بهما ثلاثة شبان من خيرة الشبان لويز ماسون وهو موظف فى وزارة الداخلية له مركز كبير ومستقبل باهر غير انه كثير الادعاء متكبر يطمع بالاقتران بايفون بسبب ثروتها الكبيرة غير انه لم يتقدم صراحة لطلب الاقتران بها واكتفى بالزيارات المتكررة

والثانى أدولف دربنر خطيب ميشيلين فتى امتلأ صحة وعافية قارب الثلاثين من سنى حياته كثير العناية بثيابه وهو إبن الشيخ دربنر رجل عظيم من رجال المال والعمل يملك مصنعا كبيرا جدا من مصانع الكهرباء فى لوسترن حضر الي فرنسا لقضاء بعض اعمال هامة تتعلق بمصنع ابيه : صادف ميشيلين في العيد الدمى فى حفلة فى الحفلات فبهره جمالها واستهوته محاسنها فهام بها وخطبها. فلما عرض الامر على الفتاة لم تشأ ان تتعجل بالقبول وطلبت وقتا للتفكير قبل الاجابة

اما الشاب الثالث فهو مراهق فى السادسة عشر من سنى حياته يدعى جوليان وهو شقيق إيفون وبيير برتران وهو فتى كثير الحياء ينكمش أمام الجماعة ويلعب لعب الصبيان اذا

انفرد أووجد مع امثاله.

ولم تكن ميشيلين مبتهجة في ذلك النهار بخلاف عاداتها فاقترب منها درينر وجعل يتحدث معها ولكن محادثته زادت الفتاه استياء وطلبت الفرار منه فحولت حديثها الي جوليان قالت

ـ سمعت أن أباك أخرجك من المدرسة واستحضر لك معلما في البيت فتحول القصر الفخم الي سجن لك ياجوليان

ـ نعم ياعزيزتي والمعلم الجديد يدعى المسيو شفاليه وهو رجل نشيط قليل الكلام يقضي كل الوقت في العمل لايمزح أبدا وسترينه عندما تجيئين لزيارتنا لانه رفض اليوم الحضور معنا واعتذر

وقال العمده

ـ هل حضر كلود لزيارتكم اليوم ؟ لقد زارني اليوم صباحا فوجدته تغيرت اخلاقه بعض التغيير وظهرت عليه دلائل الرصانة والثبات ؟

فانحنى ماسون قريبا من أذن درينر ووصف كلود بأوصاف لا يستطيع الجهر بها أمام المجتمعين فوصلت الى اذن مشيلين كلمات من قول ماسون جعلتها تستاء وتبارح المكان خشية من

أن يحمها الاستياء على الدفاع عن كلود بعبارة لا يكون من الادب التصريح بها فى جمع من الناس . خرجت ناقة على الشبان من أهل الوجاهة والمظاهر المغرية اتهمتهم بالغباوة وخبث القلب وضعف العزم والرغبة القوية فى التغرير للظهور فى مركز أعظم من مراكزهم الخليقة بهم .

المعلم

قصر برتران فى شانتنى قصر فخم تحيط به حديقة واسعة نسقت تنسيقا جعلها قطعة من الفردوس تبتهج العين لمرآها وينشرح الصدر برؤية نظامها البديع وأزهارها اليانعة

خرجت إيفون فى عصر أحد الايام تتريض فى الحديقة بينما كان جوليان فى مكتبه مع معلمه المسيو شفاليبه يتلقى عليه الدرس..

وحدث أن المعلم قصد الى النافذة ليمتع طرفه بما فيه من المشاهد المبهجة فوقع نظره على ايفون وكانت الفتاة قريبة من النافذة فحيت المعلم باحناء رأسها وابتسامة لطيفة أخلم لها قلب الشاب فرد التحية ووجهه يمتقع ثم ابتعد عن النافذة وعاد الى الدرس .

بعد برهة قصيرة من هذه الحادثة وصلت الى القصر عربة صغيرة « كارته » فيها ميشلين ومعلمتها صوفيا . فابتهجت ايفون بمجيء الفتاتين ونشطت لاستقبالهما فقالت صوفيا :

— جئنا اليوم لنأخذك معنا الى مو تيفليرلان ميشلين تريد الذهاب الى المدينة الصغيرة لقضاء حاجة لها هناك وأملنا في السيدة برتران والدتك انها لا تمنعك من الذهاب معنا أنت وجوليان

فقالت ايفون :

— من المحقق أن والدتي لا تمنعني من الذهاب معكما غير أن جوليان لا يستطيع ذلك بدون اذن من معلمه المسيو شفاليه الا اذا قبلتما الانتظار ريثما ينتهي التلميذ من الدرس

فقالت ميشلين :

— ليس في وسعنا الانتظار لاننا نريد العودة قبل المساء فيحسن بنا أن نذهب جميعا لطلب الاذن من المعلم

دخلت إيفون وميشلين غرفة جوليان فنهض المسيو شفاليه لاستقبال الزائرة فقالت إيفون تعرفه بميشلين :

— الآنسة ميشلين دورشان .

فاستولت الدهشة على المعلم وكرر اسم دورشان بتعجب، فقالت الفتاة :

— بل نعرف من قبل الآنسة ميشيلين دورشان ؟

— لا أعرفها من قبل ياسيدتي غير أنني أعرف اسم دورشان لأنه اسم صديق لي ولم يذكر لي أبدا أن له أختا أصغر منه ،

— للآنسة ميشيلين أخ في الجيش برتبة يوزباشي في الطوبجية في الفرقة الثلاثين يدعى الكابتن دورشان .

فتعجلت ميشيلين وقالت :

— جئنا ياسيدي الاستاذ لنسألك الاذن لجوليان بالذهاب معنا إلي المدينة وأملنا عظيم في كرم خلقك أنك لا ترفض هذا الرجاء :

فلم يستطع المسيو شفاليه الرفض فأذن لتلميذه بالذهاب مع الفتيات . فشكرته ميشيلين ودعته للذهاب معهم في تلك الرياضة . ومشاركتها ليفون في الرجاء فرفض المعلم واعتذر بأنه يضطر للبقاء في المكتب لانجاز عمل هام يستدعى

الضرورة أن يتممه فى نفس اليوم . فحياه الجميع وخرجوا من القصر وبينما كانوا فى الحديقة متجهين الى الباب الخارجي التفتت ايفون إلى نافذة الغرفة التى بها المعلم فرأته فى النافذة واقفا ينظر اليها فلما وقع نظرها عليه اختفى بسرعة كأنه يتهيب أن تعلم الفتاة بوجوده في النافذة

حادث مزعج

حصل الكابتن دروشان على أجازة قدرها سبعة أيام فذهب الى قصر لاكونتيير ليقضيها مع أختيه هنريت وميشلين . فخرج أهل القصر يوما قاصدين قصر شاتني ليأخذوا أهله معهم أيضا ويذهبوا جميعا الى حفلة شاى أعدها لهم ضباط الجيش بالغرفة المسكمنه في كومبين

تم الاتفاق بين أفراد العائلة على أن تركب السيدة رتران الكبيرة عربتها وتأخذ معها هنريت زوجة ولدها بيير والآنسة صوفيا معلمة ميشلين . أما ميشلين وايفون وجوليان وبيير والكابتن روشان فانهم يمتطون صهوات الخيل ويذهبون الى المكان المعد لتناول الشاي فرسانا

وسأل الكابتن عن كلود هل يذهب معهم لحضور الحفلة فقالت ميشلين .

ـ لا أدرى . . فانه لا يظهر أمامنا إلا نادرا جدا ويقضى كل أوقاته في الصيد فلا يبارح الغابة ألا ليحبس نفسه فى البيت الذى اكتراه .

وقال بيير :

ـ لقد زارني ابن العم في المصنع أمس الأول وفهمت منه أنه سيكون معنا فى هذه الحفلة ولهذا ينتظر أن نراه هناك .

فامتقع وجه ميشلين وقطبت جبينها وأبرقت عيناه؛ ربما لم يتنبه له أحد من السائرين معها فى الطريق ولحق بالقوم فى هذه اللحظة المسيو ماسون ممتطيا جوادا والمسيو درنيير خاطب ميشلين فى سيارة فخمة ومعه جماعة من تجار بوقى وكان الشاب الغنى يزعج الخيل بنفير السيارة وصوته المزعج . فتنبه الشيخ برتران للأمر لأنه رأي جواد الكابتن دورنان فتولاه الخوف كلما وصل إلى أذنه صوت النفير فيجمح جماحا خطرا ولولا مهارة الضابط واعتياده ركوب الخيل لسقط عن ظهر الجواد المرتعب.

فنادى برتران ولده جوليان وطلب اليه أن يلحق المسيو درنير ويرجو منه أن لا يكثر من أستعمال النفير مجازرة من جماح الخيل : فأطلق جوليان لجواده العنان فسبق أخاه بير وكان سائرا بجانب المسيو ماسون يتناقشان فى مسألة اقتصادية . أطلق الشاب الجواد يريد اجتياز الفتيات اللاتي كن أمامه ليصل الى السيارة .

وكانت ميشلين بجانب ايفون وأمامها على بعد قريب سيارة درنير الخشن وهو يزعج الخيل بنفيره ويعمى عيون الفتيات بالغبار الذي تثيره عجلات العربة وبدخان البنزين الذى تطرده الآلة خلفها من حين الى حين .

تضايقت ميشلين من وجودها خلف السيارة يعميها الغبار ويزعجها صوت النفير فقالت لايفون :

ـ هل يرضيك أن نبقى وراء السيارة وصاحبها الخشن المزعج يعمي عيوننا الغبار ؟ اتبعيني نسبق السيارة لننجو من هذا المكان المزهق

أطلقت ميشلين عنان جوادها وتبعتها ايفون فسبقتا السيارة وابعدتا عنها فلم يرض درنير ابتعاد ميشلين عنه وعقد

العزم على إظهار سرعة سيارته وعجز الخيل عن مسابقتها فحول السيارة إلى السرعة الرائعة ودفعها فى الطريق . فسمعت ميشلين صوت الآلة تقترب منها فالتفتت إلى الوراء وهي تقول :

ـ لقد جن هـذا الرجل جنونا لا شك فيه . . تعالى يا ايفون إلى جانب الطريق لئلا تدوسك السيارة .

فدفعت الفتاة جوادها الى جانب الطريق ولـكن درنير نفخ فى البوق فى تلك اللحظة نفخات مزعجة جـدا ففزع جواد إيفون فأجفل إجفالا كاد أن يلقى الفتاة عن ظهره ثم اندفع فى الطريق بكل سرعته ينهب الارض وثبا : فارتعبت ميشلين خوفا علي إيفون وصرخت صرخة عالية تدل علي ما تولاها من الرعب .

رأي الـكابتن دورشان الحادث فدفع جواده بكل سرعته في أثر الجواد الجامح يريد أن يلحق به لينقذ ايفون من الخطر . ولم يشأ الضابط الجرىء اتباع الطريق الذى سار فيه جواد الفتاة فدفع جواده فى الغيطان يريد أن يقطع الطريق على ايفون وجوادها . فنجحت حيلته ووصل إلى الطريق قبل

وصول الجواد الجامح إلى المكان الذى بلغ هو اليه

وصل جواد إيمان مندفعا بكل قوته فى تهيج جنوني يضرب الارض ويثب والفتاة فوق ظهره لاصقة بالسرج متعلقة بعنقه ممتقعة الوجه وهي تصرخ مستغيثة كأنها على يقين من الموت بسبب الخطر العظيم الذى يتهدد حياتها :

وكان بجانب الطريق شجيرات متلاصقة فانفرجت أغصانها فجأة قبل وصول الجواد وخرج منها رجل وثب إلى رأس الجواد الجامح فتعلق به ثم قبض على اللجام من الجزء القريب من الفم فأرغم الجواد علي الوقوف فصرخ السكابتن دورشان مبتهجا واندفع لناحية الرجل ليساعده على كبح جماح الجواد فزادت دهشته عند ما وقع نظره على الرجل

كان الرجل الذي خاطر بنفسه لانقاذ الفتاة المسيو شفالييه المعلم الذى جاء به برتران لتعليم ولده جوليان وكان بدون قبعة وهو متعلق بالجواد يغالبه . فاستولت الدهشة على السكابتن دورشان وصاح بالمعلم يقول :

— يالله ! هل أصدق عيناى ؟ أنت هنا يا جيرار ! كيف هذا ؟

ثم ترجل الضابط عن جواده واقترب من المعلم وتناول يد صديقه وجعل يضغط عليها بحرارة الشوق والابتهاج وهو يقول :

— من المدهش أن أراك هنا في مونتيفيلير يا صديقي مع أنني أعرف أنك مع فرقتك في الدفعية المعسكرة في بيزانسون !

فقالت إيفون بدهشة :

— في فرقته في الدفعية ! إذن هو ضابط في الدفعية ؟

فارتبك المعلم وقال الكابتن دورشان بصوت ضعيف

— لقد تركت فرقتي واستقلت من الخدمة في الجيش

— ولم هذا يا صديقي ؟ لقد كنت على وشك الارتقاء إلى رتبة كابتن ..! فما الذي حداك إلي هذه الاستقالة التي لم تخطر على بالك أبدا وأنا معك في فرقة واحدة !

— ليس هذا مكان البحث في هذه الشئون وسنتقابل الليلة عند الساعة العاشرة فأشرح لك الامر .

ثم تحول المعلم إلى إيفون واعتذر لها عن اضطراره لاجابة صديقه دورشان واغفاله أمرها ثم سألها عن حالها هل أصابها مكروه فلما سمع منها ما يبعث على الاطمئنان قال :

— بقى لى أن أسألك منة تمنين بها علي أيتها الآنسة . أريد أن تكتمي عن القادمين أمرى وأن يجهلوا كل الجهل أنني أنا الذى ساعدك على النجاة من الخطر وأرجو أيضاً أن تخفى عنهم ما قيل أمامك عن أمر وجودي سابقا فى الجيش .

رجا المعلم الفتاة بصوت ضعيف ولكنه بلهجة التوسل والالحاح فى الرجاء وكانت نظراته تدل على مقدار ما فى نفسه من التألم والانزعاج . فأشفقت الفتاة على الشاب وقالت :

— أعدك بأنني أكتم الامر عن الجميع وفاق رغبتك

ثم مدت له يدها الصغيرة فتردد شيفاليه قليلا ثم تناولها ووضع عليها قبلة صامتة وتركها بسرعة فتعجب الكابتن دورشان من رغبة صديقه فى كتم أمره وقال :

— لم أدرك غرضك من هذه التصرفات يا صديقى .

فقال شيفاليه وهو يشد على ذراع صديقه :

— ليس هذا وقت الافاضة فى الشرح فاكتم أمرى وأطعنى الآن إطاعة عمياء فان خالقتى أزعجتني وأوجدت فى حياتى ارتباكا

قال هذا وعاد إلى الغابة واختفى بين الاشجار فقالت إيفرز

ـ أراك تقول ان المسيو شفاليه ضابط فى المدفية الفرنسوية وانه من أعز أصدقائك فكيف ترك خدمة الجيش ليكون معلما لاخي جوليان ؟

ـ يدهشني جدا تصرف صديقى لانه متخرج من مدرسة الهندسة وله مقام جليل فى فرقته ومستقبل باهر يضمن له حسن خلقه وحكمته وبراعته ونشاطه . والذى أظنه أن لخروجه من الجيش سرا يجب أن أعرفه فا كتمى أمره عن القادمين اجابة لرجاء صديق

وصل الشيخ برتران وزوجته وسائر أفراد العائلة فنشط الشيخ الى ابنته فضمها الى صدره لانه فزع عليها فزعا غريبا وانخلع قلبه خوفا عليها أن يلقيها الجواد الجامح عن ظهره فيصيبها بمكروه . وتوهم الشيخ ان الكابتن دورشان هو الذى أنقذ الفتاة فجعل يشد على يديه ويشكر بعبارات بينة وظهر درنير بين القوم وهو يقول :

ـ فشكر الله على انتهاء الامر بدون ان يصيب خطيبتى مكروه

فاستاء الكابتن من سماجه ذلك الغبي وقال :

ـ أرجو منك ياسيدي أن لاتعود الى بوقك تزعجنا

به أثناء سيرك معنا . كف عن استعمال البوق طالما أنت معنا لانك كدت أن تذهب بحياة إيفون بسبب النفخ فى البوق بدون سبب يدعو الى ذلك .

ولم ينتظر الضابط سماع اجابة درنير فتركه مرتبكا فى مكانه وأبعد عنه وخلفه جماعته بادية عليهم دلائل الاستياء

بين الصديقين

خرج جيرار شفاليه من قصر سانتنى قبل الساعة العاشرة مساء وذهب الى المكان الذى عينه لصديقه الكابتن دورشان لمقابلته فيه فوجد الضابط فى انتظامه فصافحه وهو يقول :

ـ ها أناذا جئت فى الموعد الذى عينته بنفسك لاعرف منك السبب الذي حداك الى ترك الخدمة فى الجيش لانني شديد الدهشة لخروجك من الخدمة مع أنك كنت أقوانا فى المدرسة وأشدنا تعلقا بالجندية تهيم بالاعمال العسكرية هيام غيرك بالملاذ والملاهى

فاحنى شفاليه رأسه ومسح بيده دمعة ترقرقت بين جفنيه وقال :

ـ عند ما أتممت دروس المدرسة وعينت ضابطا فى الجيش

كانت أختي في منزل زوجها وهو طبيب يقيم في مدينة اشتهر فيها بالبراعة وكرم الخلق فعاش عيشا رغدا وابتسم له الحظ غير أن المنية فاجأته مفاجأة فمات في دقيقة واحدة شابا في ريعان الشباب لم يجمع ثروة ولم يخلف ميراثا لزوجته سوي ثلاثة أطفال فاقاموا مع والدتي وأكرهتني الظروف على الاتفاق عليهم من مرتبي القليل وأنت تعرف أن المرتب لا يكفي الضابط وحده ولو كان بدون عائلة. فكان أمامي أحد سبيلين البقاء في خدمة الجيش وإهمال أمر عائلتي أو ترك الجيش للبحث عن عمل لاستطيع الاتفاق على هؤلاء البؤساء فآثرت الثاني على الاول. واستطعت بواسطة الاستاذ فابر أحد أصدقائي إيجاد هذا المركز في قصر المسيو برتران مدة ثلاثة شهور أسافر بعدها إلى الصين في شركة انكليزية ستدفع لي شهريا ثلاثة آلاف فرنك وهو مبلغ لا أطمع بالحصول عليه في الجيش ولو وصلت إلى رتبة قائد

فسكت الكابتن دورشان برهة يفكر ثم قال

ـ لقد جهل المسيو برتران والى الآن أمرك وصداقتنا المتينة لهذا عاملك القوم معاملة أي معلم يجيئون به لتعليم

جوليان وسيقومون من الآن بما يجب لك من الاحترام والود عند مايقفون على الحقيقة وعلى الصداقة القديمة التى تربطنا ببعضنا من زمن المدرسة

— ومن أين يعرفون الحقيقة ؟

— سأبلغها لهم غدا صباحاً فمن النذالة أن أكتم أمرك عن أهلي لانك من ذوى النبوغ فى الهندسة وذوى الرفعة الحقيقة والخلق الكريم والشرف يفخر بك أهلك وأصدقاؤك وليس الفخر كتم أمرك إنما إعلانه .

— هذه وجهة نظرك ولست اخطئك فيها إنما ليس من الحكمة ان تطلع كل الناس على اسرارى الخاصة فاذا ذكرت لهم حقيقة امرى اكرهتك الحال على ذكر السبب الذى حداني الى الاستقالة من خدمة الجيش فكأنك تريدان تعلن اسرارنا المؤلمة لكي تعلن للناس صداقتنا القديمة وهذه الاسرار من حقى أن اكتمها عن الناس وليس من حقك اعلانها بعد ان ذكرتها لك . .

— ولكن الامر . .

فقاطعه شفاليه وقال :

ـ لاتحاول إقناعي بغير الذي أعتقده الصواب ولو كنت أنت في مركزي وظروف هذه المسألة مافعلت الآن ولتشددت كل التشدد في كتمان الامر . فيكفي ان اجتماعنا في الطريق بسبب جماح الجواد كان سببا في اطلاع ايفون على جزء في هذا السر ولو كانت نبيهة زكية يمكنها ادراك البقية وهذا مايحدوني الى الخجل والتألم

فسكت الكابتن دروشان لان صديقه على حق في أمتناعه عن اعلان أمره ولانه اقنعه بضرورة كتم السر عن سائر الناس لان الذين لم يتألموا في الحياة لايستطيعون تقديرآ لام المتألمين ولا وزن اقدار الرجال إلا بما في جيوبهم من المال ولو كانوا اعظم الناس بآدابهم ومبادئهم وعواطفهم ولو كانوا من الابطال

تغير الاحوال

كانت هنريت فى غرفة الاستقبال بعد ظهر احد الايام ترتب وضع الازهار وهى مهمومة مفكرة لانها رأت وجه زوجها بيير ممتقعا عليه دلائل التفكير والكدر ولم تتمكن من سؤاله عن السبب فى كدره لانه تركها على المائدة مع الحاضرين وانصرف وبينما هى تضع الازهارفى الاوانى دق باب الغرفة ثم دخلت الخادم تستأذن للمسيو دوربت فانزعجت السيدة لمجيء الرجل ولم تتردد في الاذن له بالدخول

هم الرجل بالاعتذار فمنعته باشارة يدها وأشارت إلى مقعد فجلس عليه وقالت

— لقد أحسنت كل الاحسان بحضورك الآن فتكلم بكل صراحة ولا تكتم عنى شيئاً

— إذن أنت واقفة على شيء من سر المصيبة ياسيدتى ؟

— لم أعرف شيئا الى هذه اللحظة ولكني لحظت على وجه زوجى دلائل الانزعاج والكدر ولحظت أنه يفر من حديثى ولا يمكنني من سؤاله عن سبب انزعاجه ورأيتك تجىء لمقابلتى

الامر الذى لم تقدم عليه ابدا فأدركت من هذا كله ان طارئا خطيرا طرأ علينا فكان سبب هذا الانقلاب

فسكت الرجل برهة يستجمع قوته او افكاره ثم قال

لقد قضيت ياسيدتي عشرين عاما كاملة فى هذا المصنع فأصبحت أهتم بشئون عائلة المسيو برتران وأنظر اليها لو كانت شئون عائلتى الخاصة وقد ترددت طويلا قبل الاقدام على المجيء لمقابلتك خشية من أن ينسب الى تجاوز حدود وظيفتي وخشية من وصف عملي بأنه فضول . ولولا خطارة الامر وايثاري مصلحة المصنع وعائلة برتران على مصلحتي الخاصة ما أقدمت علي الحضور الآن

فاشتد الزعاج هنريت ولكنها تجلدت وتكلفت الهدوء والرزانة وقالت .

ـ تشجع إذن ـ دوريت واذكر لي الامر كله ولا تحاول أن تخفي عنا شيئا

ـ لقد ساءت الاحوال فى المصنع فى الأيام الاخيرة إلى حد جعل مركزنا حرجا جدا فاذا لم يتوفق زوجك إلى إيجاد ٢٠٠٠٠ فرنكا فى ظرف أسبوع واحد يتوقف

المصنع عن دفع ما عليه من الاقساط فيعلن إفلاسه .

فصرخت السيدة صرخة ألم ودهشة ودقت صدرها بيدها من هول النبأ المزعج الذى بلغ اليها فى وقت كانت تتوهم فيه عكس الذي سمعته

ساءت أحوال المصنع بسبب أزمة مالية أزعجت كل أصحاب الاعمال فى أوروبا وأكرهت بيوتا كبيرة على الافلاس ولكن بيير تصرف بحكمة وصادم الازمة بمهارة عظيمة وقتا طويلا وكاد أن ينجو من السقوط كما سقط غيره من أصحاب الاعمال غير أن القدر دهمه فجأة بطارىء شديد زلزل عزمه وأدناه من الافلاس والخراب . توقف مصرف كبير فى ليون عن الدفع وأشهر إفلاسه والاموال الباقية لبيير كلها مودعة فى ذلك المصرف فأشرف على الافلاس بحكم الظروف القهرية .

ففكرت الفتاة برهة طويلة ثم قالت :

ـ من المحقق أنك لم تحضر يا مسيو دروت لمجرد رغبتك فى ازعاجى بهذا النبأ المزعج فلك من هذه الزيارة غرض آخر تريد أن تحققه وتظن انني أستطيع ذلك

ـ نعم ياسيدتى هنالك سبيل واحد لانقاذ المصنع وحفظ المسيو بيير زوجك من خطر الافلاس وهذا السبيل هو الالتجاء الى والده المسيو برتران لاقتراض ٢٠٠٠٠٠ فرنك لقد انسحب هذا الشيخ من العمل منذ عشرة أعوام وادارة المصنع تدفع له فى كل عام ٨٠٠٠٠ فرنك نصيبه فى الارباح فرضنا أنه ينفق نصفها يكون ما عنده الآن أكثر مما يحتاج اليه المصنع للنجاة من الافلاس فمن الحكمه الالتجاء الى المسيو برتران لانه لا يرضي أن يري ولده يشهر افلاسه ويتولاه الخراب

ـ أنا على يقين من أن المسيو برتران لا يسر لهذا الحادث ولن يجيب طلبنا بسهولة وسيزعجنا جميعا بما يبديه من السخط والاعتراض ولكنه لا يترك ولده فى هذا المأزق الحرج دون مساعدة ولهذا سأقابله وأسأله هذه المساعدة .

فانصرف دوربث وعاد بيير الى القصر فى هذه اللحظة فى حالة تدل على الانزعاج وعلى تأثير اليأس فى نفسه تأثيرا مزعجا فأدته زوجته وأخبرته بأنها عرفت الامر كله من دوربث

رئيس الحسابات فارتمي الشاب على مقعد فى حال تدعو الى الاشفاق عليه وغطى وجهه بيديه لكى يخفي من زوجته دلائل الالم الذي يمزق فؤاده ويذهب بعزمه وجلده . فبكت هنريت إشفاقا على زوجها ثم قالت :

— لاأستطيع أن أراك متألما يازوجى العزيز ولهذا عقدت العزم على مقابلة والدك وعرض الامر عليه ثم طلب المساعدة منه

ووصل الى أذن هنريت فى هذه اللحظة صوت المسيو برترا يسأل عنها خادمتها فأدخلت زوجها فى الغرفة المجاورة وهى تقول .

— هذا والدك جاء لزيارتنا فابق هنا مختبئا حتى أعرض الامر عليه ثم أدعوك اذا أقتضى الامر استدعاءك فانني أخشى أن يصب على رأسك جام غضبه مفاجأة اذا بلغ إليه هذا النبأ المزعج وأنت معنا

عادت هنريت إلي قاعه الاستقبال فوجدت الشيخ فقعدت لتحيته وفى عزمها أن تتدرع بالحزم والصبر لنال مانطمع به من مساعدة حموها . فقال الشيخ .

— كنت في المصنع الآن وسألت عن بيير ولدى وأخبروني انه عاد إلى البيت فأين هو ؟

— جاء الآن ولكنه صعد الى الغرفة . .

فقال الشيخ بصوت فيه شيء من الخشونه .

— إذن سأنتظره حتى ينزل

فنظرت السيدة خلسة الى وجهه فأدركت من تغيره أنه اطلع على الحقيقة فقالت :

— والدى .. أتوسل اليك أن تبقى على الدوام طيب القلب :

— يلوح لى أنك مطلعة على الحقيقة أنت الاخرى إذن ما كتبه إلى ماسون حقائق ثابتة تهدم صرح أمانينا وتهددنا بالخراب . لقد خطب ماسون إبنتى ليتون في الشتاء الماضي ووعد عند ذلك بوضع جزء من ثروته في المصنع الذى يملكه بيير فلما ارتبك زوجك في أعماله كتب الي ماسون يرجو منه أن يشترك في المصنع بجزء من رأس المال فلم يجب وطلب وقتا للتفكير ومعنا التفكير في لغة رجال المال الرفض ورفض ماسون الاشتراك في المصنع دليل على أن مركزه حرج يخشى معه الافلاس

— نعم يا والدى .. المركز حرج جداً

فضرب الرجل الابيض بقدمه وقال

— ياله من شقى .. ياله من سفيه !

— بل قل ياله من تعس يستحق العطف والاشفاق

— هل تريدين أن نعطف على ولد يجرنا الى الافلاس والخراب والفضيحة :

— نعم .. يجب أن أعطف عليه وأن أطلب الاشفاق منك لانى أحبه فاذا لم أشفق عليه فى شقائه واذيان الحظ عنه أ كون نا كرة الجميل . وبدون مروءة . ويجب أن أعطف عليه وأدافع عنه لانه لم يخطأ ولم يجرم ولم يسفه ولان الصدمة التى زعزعت مركز المصنع لم يكن سببها خطأه بل هى الظروف القهرية ساقتها اليه كرهاعنه فكانت كالصاعقة التى تنقض من السماء على رأس رجل فى الطريق يكون قديسا ويكون أهلا للشفقة عليه والرثاء له فسكت برتران برهة يفكر ثم حذب هنريت اليه وقبل جبينها وهو يقول ٠

— أنت ملاك يا ابنتى العزيزة .. لقد سقط ولدى فى أزمة حرج يدوره الى الافلاس فنشطت للدفاع عنه ولمنى

من السخط عليه

فبكت هنريت وجعلت تمسح دموعها بالمنديل فقال الشيخ

— لا تبك يا ابنتي العزيزة واشرحي لي الامر شرحا وافيا فانني لا أعرف الحقيقة كاملة

فجلست هنريت بجانب الشيخ وقصت عليه الامر وهو مصغ اليها بانتباه فلما انتهت من حديثها قال بلهجة تدل على الانزعاج واليأس!

— يحتاج المصنع لمائتي ألف فرنك في أسبوع واحد! يا لله! محال أن يجد ولدي من يقرضه هذا المبلغ العظيم اذن سيتوقف بيير عن الدفع ويعلن افلاسه!

— لا أظنك يا والدي تتركه تحت رحمة الظروف ان اعتمادي عليك عظيم لدفع الخطر الذي يهدد زوجي وشرف العائلة أيضا

— وكيف تريدين أن أدفع الخطر وأنا لا أملك هذ المبلغ الجسيم!

فاستولت الدهشة على هنريت وظهرت عليها دلائل الحيرة واليأس فقال الشيخ:

— لقد أنفقت شطراعظيما من المال في شراءقصر شانتني واصلاحه وأنفقت الباقي في شراء قصر آخر في باريس لانى لم أكن أنتظر أن يبلغ الامرالى مثل هذه الحال الخطرة واذا خطر لى أن أبيع القصرين الآن أخسر فيهما خسارة فادحة ومع هذا فلا يمكن بحال من الاحوال أن أجد من يشتريهما في أسبوع واحد

فانزعجت هنريت وكادت أن تفقد صوابها فاشفق عليها الشيخ وطلب اليها أن تدعو ولده ليعرف منه الحقيقة كاملة وليبحث معه في الوسائل الممكنة لتلافي الامر فانتقلت الزوجة الوفية إلي الغرفة التي بها زوجها وعادت إلى والده ففتح الشيخ ذراعيه وضم ولده إلي صدره وهو يقول .

— إذا كانت مروءة هنرييت تأبي عليها أن تقصر في الدفاع عنك فروءة الوالد تابى عليه أن يكون نذلا في وقت الخطر الذى يتهدد ولده .

ميشيلين

قضى أهل القصر ثلاثة أيام فى تألم وانزعاج تحت تأثير المصيبة التي دهمتهم ولـكن الشيخ برثران لم يشأ أن يطلع أفراد العائلة جميعهم على السر المزعج . وأمل الشيخ برثران أن يجد المساعدة الضرورية من أدولف درنير لانه طامع بالحصول على يد ميشيلين فكتب إليه بيير رسالة برقية يعرض عليه أن يبيعه اختراعا جديدا له فى الكهرباء أو يشركه فى الانتفاع بنصف مايجىء من الارباح فى مقابل مائه ألف فرنك يدفعها فى الحال يرهن الشيخ برثران قصرامن قصوره على مائة ألف فرنك فيتيسر المبلغ العظيم الذى يحتاج اليه المصنع وتنفرج الازمة التى كادت أن تقضي على بيير .

فوصل أدولف درنير إلى المصنع فى نفس اليوم الذى وصلت إليه فيه الرسالة البرقية فابتهجت هنريت باسراع الشاب للحضور وأيقنت بانه من ذوي المروءة وبأنه أفضل زوج يصلح لاختها ميشيلين فاختلت بالفتاة فى غرفتها وقالت .

ـ أصغ إلى بانتباه عظيم ياميشيلين لاننا في موقف حرج

جداً والخطر الذي يتهددنا عظيم جدا ولهذا أردت أن أخلو بك الآن لاسألك رأيك فى المسيو أدولف درنير هل تقبلينه زوجا لك أم لا لانه خطبك من وقت طويل ووعدت بالتصريح برأيك بعد التفكير

— وهل هذا هو الخطر الذي يتهددنا الآن ؟

— الخطر الذي يتهددنا جيما هو المصنع الذي يديره زوجى فقد وضعنا جيما كل ما أملكه فى هذا المصنع ثروتي وأموالك جيعها ومنها المهر الذي تقدمينه لمن يتقدم للاقتران بك والمصنع الآن فى حالة خطرة جدا ساءة حالته فجأة بسبب إفلاس أحد المصارف فكاد أن يتوقف عن دفع المطلوب منه وإذا لم يتقدم المسيو درنير لمد يد المساعدة إلينا يتوقف المصنع عن الدفع ويعلن إفلاسه ويكون هذا سببا فى الخراب المحقق وفي فقدان شرف العائلة وكرامتها .

فانزعجت الفتاة ولم تصدق ما سمعته أذناها. ورأت هيلين جزع أختها وما استولى عليها من الانزعاج والرعب فبكت فشق على ميشلين أن ترى أختها باكية فارتمت على صدرها تضمها إليها وتبكي إشفاقا على هنرييت . فشجعت هذه عند

تحققها من حنان ميشيلين وطيبة قلبها وقالت .

ـ أنا على يقين من انك طيبة القلب ياميشيلين تبادلينى الحب والعطف والحنان ولكننى أوثر هناءك في الحياة على كل ملذات العالم وعلى كل هنائي الخاص وأنا لا أسألك الآن رأيك فى أمر زوجك درنير لتضحى تمسك بالاقتران بهذا الرجل إذا كنت لا تحبينه .

فسكت ميشيلين برهة تفكر ثم قالت :

ـ ولماذا لم تطلبوا المساعدة من كلود ابن عمنا . . لقد عرفنا أنه أحضر معه من أمريكا ٣٠٠٠٠٠ فرنك والمصنع يحتاج لمائتى الف فرنك فقط .

ـ لقد عرضت هذا الرأى على الشيخ برتران فرفض الالتجاء الى كلود وشاركه زوجى فى رفض طلب المساعدة من ذلك الشاب لعدة أسباب منها أنه اذا أعطانا هذا القدر العظيم من المال لا يبقى معه مايستطيع به إدارة أعماله التجارية والاتفاق على قطعان البقر والمواشى فى الارجنتين . ومنها ان الشيخ برتران لم يحسن الى كلود فى صغره ولم يبد له شيئا من العطف والحنان الواجبين عليه لصغير يتيم تربي فى بيته

ومنها أن برتران لم يمد يد المساعدة لكلود فى أيام البؤس والشقاء ولم يكن سببا فى نجاحه فى الاعمال العظيمة التى قام بها فى أمريكا وكانت سببا فى غناه وفى الحصول على الثروة التى جمعها فليس من المناسب إذن طلب المساعدة من رجل أسيء اليه .

فأحنت ميشيلين رأسها دلالة على الموافقه وقالت .

ـ اذن لم يبق لكم أمل فى النجاة من الخطر الذي يهددنا جميعا إلا بالالتجاء الى درنير وسيغتنم الرجل هذه الفرصة ليسألكم عن رأيى الصريح فى أمر الاقتران به قبل أن يمض عقد الاتفاق مع زوجك وقبل أن يقدم المبلغ الذى تحتاجون اليه

ـ هذا الذى نخشاه فماذا تجيب درنير إذا سألنا عن رأيك الصريح فى أمر الزواج ؟

ـ وهل أنت واثقة من ان درنير لا يرفض دفع المبلغ إذا قبلت الاقتران به ؟

ـ نعم ... لأنه يحبك بكل قلبه ولا يستطيع الحياة بدون الاقتران بك .

فقالت ميشيلين بدون أن يبدو عليها شيء من دلائل

الانزعاج أو التألم :

- اذا سألك درنير عن رأيي في أمر الاقتران به فقولي له عن لساني أنني قبلت أن أكون زوجته

فارتمت هنرييت على صدر اختها وجعلت تقبلها من شدة الابتهاج والفرح ثم قالت :

- سأذهب إلى غرفة المكتب وأخاطب زوجي بالتليفون لاخبره بقبولك فانه الآن مع درنير في المصنع يعرض عليه الاختراع الجديد ليتم الاتفاق

خرجت هنرييت مسرعة وتركت أختها في الغرفة فلما ارتد الباب امتقع وجه ميشيلين وقالت وهي ترتجف

- ليس من المروءة أن يكون في يدي انقاذ هذه العائلة من الخراب وفقدان الكرامة بسبب إشهار الافلاس وامتنع عن هذه المساعدة . ولكن المساعدة التي أكرهتني على قبول درنير زوجا لي سحقت قلبي ومزقت فؤادي فانني أحتقر درنير وأحب غيره . لقد ضحيت نفسي وهدمت بيدي صرح أمالي في الهناء والاغتباط فداها للمروءة ..

الامل الاخير

وصل كلود الي قصر بيير يريد زيارة هنريت وأختها ميشيلين فعلم من صوفيا أن ميشيلين قبلت الاقتران بالمسيو درينر ولكنها ظهر عليها بعد ذلك الاضطراب والارتباك وبينما هي جالسة تقص ذلك النبأ والشاب يصغي اليها بدهشة وذهول دخلت هنريت فنهض كلود وحياها فجلست السيدة الصبيه وأشارت لصوفيا فانصرفت

ـ جلست هنريت ممتقعة الوجه مرتجفة واجمة . كانت من برهة قصيرة فرحه مبتهجة لان ميشيلين قبلت الاقتران بدرينر . فلما تركت أختها فى الغرفةوخرجت تريدأن تخاطب زوجها بالتليفون قابلته فى الدهليز وكان مرتبكا بادية عليه دلائل الكدر واليأس فأخذها الى غرفته وقال :

ـ انتهى الامر .. لم يعدلنا أمل فى النجاةفان درينر رفض ما عرضناه عليه فى اللحظة الاخيرة بدعوى ان والدهأرسل اليه رسالة برقية يمنعه من شراء الاختراع الجديد

ثم اسند الشاب رأسه بيديه وفكر برهة قصيرةثم قال

ـ لقد فقدنا كل آمال في النجاة واستولى اليأس على
ولكنني صادفت كلود آتيا الى القصر فتظاهرت أمامه بالسرور
وصحبته حتى دخل غرفة الاستقبال . فهل أستطيع كتم ما في
نفسي غدا كما كتمته اليوم ؟ وهل يفيد هذا الكتمان اذا أعلن
افلاسنا ووضع الحجر على كل ما نملك . . الضربة قاضية
والخراب محقق

فنهضت هنريت مضطربة عند سماعها اسم كلود وقالت

ـ بقي لنا أمل واحد وهو كلود .. أنا على يقين من
كرم خلق هذا الشاب ومن مروءته وهو طيب القلب سامي
المبدأ أظنه لا يتردد في مد يد المساعدة الينا

فهز بيير رأسه بحزن وقال

ـ لقد جربت كل الاصدقاء الذين كنت أثق بهم
فوجدتهم بدون مروءة فأصبحت لا أثق بانسان ولا أرجو
المساعدة من رجل

فلم تجب الزوجة زوجها وتركته في الغرفة وقصدت الى
قاعة الاستقبال فوجدت بها كلود جالسا ممتقع الوجه يصغي
بانتباه عظيم لحديث صوفيا مربية ميشيلين . فلما انصرفت

المعلمة وبقيت هنريت وحدها مع كلود خانتها قوتها ولم تستطع مفاتحة الشاب فى الموضوع الهام الذي كان فى عزمها أن تعرضه عليه ثم تذكرت يأس زوجها والافلاس الذى يتهدده فجلست على مقعد بالقرب من كلود : وقالت :

ـ أنت صديقى يا كلود . . فهل تذكر الصداقة المتينة التى كانت بيننا ولا زالت الى الآن . . ؟

وكان الشاب لا يزال تحت تأثير النبأ المزعج الذي سمعه من صوفيا وحديثها عن اقتران ميشيلين بدرينر فاستاء عند سماعه كلمة صداقة وقال ببرود :

ـ نعم أذكر تلك الصداقة

ـ لقد وجدت الآن الظروف التى تبرهن فيها عن هذه الصداقة . . أنا الآن فى احتياج شديد لمبلغ كبير من المال أريد اقتراضه منك

فاستولت الدهشة على الشاب ونظر اليها بذهول فأدركت السيدة السبب الذي حدا كلود إلى التعجب فقالت :

ـ لا تتوهم يا صديقي أنى سفهت أو أسرفت أو بددت شططا بالمال بل إن الامر أعظم وأخطر مما تتصور

ـ إذن تكلمي بصراحة ...

ـ أنا محتاجة إلى ٢٠٠٠٠٠ فرنك في وقت قصير جداً لا نزيد عن ستة أيام

فازدادت دهشة الشاب وارتبك وبقي ينظر إلي وجه السيدة في وجوم وذهول فقالت :

ـ من حقك أن تتولاك الدهشة يا كلود لان الطلب كبير ولانك لم تكن تنتظر أن أقترض منك مالا . والسبب الذي حداني إلى هذا الرجاء هو إفلاس مصرف في ليون كانت أموال المصنع مودعة به فكان ذلك سببا في وجود أزمة شديدة كادت أن تجر المصنع إلى الافلاس إذا توقف عن الدفع . لهذا لجأت إليك أرجو منك أن تقرضني ٢٠٠٠٠٠ فرنك

لم يكن كلود مهتما بأمر المصنع وما وصل اليه حاله من السوء والتدهور بقدر تفكيره في موضوع اقتران درين ميشيلين . فأدرك من عبارة هنريت أنها ترمي إلى غرض آخر بطلب المال وأن اقترانها بدرين يستدعي أن تقدم له المهر نقدا ولما كان الامر متعذراً لجأت هنريت إليه هو ليدفع

هذا المبلغ من جيبه ليسر أمر الزواج ثم يحل فى المصنع محله ميشلين : فغلى دم كلود وكاد الهم يقتله وعزم على خلق العقبات فى سبيل ذلك الزواج بدلا من تذليلها ومن إزالة الموانع قال :

ـ أظنك تمزحين يا هنريت بتوجيه هذا الطلب إلي !

فانقبض صدر الصبية وقالت .

ـ لست أمزح ياصديقي لان الوقت حرج والموقف خطر

ـ إذن يكون جوابى الرفض لانني فى حاجة شديدة الى المال الذي أحضرته معي وبدونه لا يمكني مباشرة أعمالى التجارية والاتفاق على قطعان البقر والمواشي : فكان من الواجب توجيه هذا السؤال الى عمك الشيخ برتران لانه غنى ولانه مقتصد في كل أعماله

ـ سألت والدى قبل أن أتقدم اليك فتعذر عليه إيجاد المال لانه اشتري بما كان يقتصده قصوراً فى باريز وشانتنى وإذا عزم على بيعها الآن يخسر فيها خسارة عظيمة ولا يمكن بحال من الاحوال أن يتم العرض والبيع والحصول على المال فى ستة أيام ولهذا اضطررت لطلب هذه المساعدة منك أنت أيها الصديق القديم

— أشكر لك كل الشكر حسن ظنك بي واعتمادك على صداقتي ولكني آسف جد الاسف لعجزي عن اجابة ملتمسك .

فصعقت عند سماعها هذه العبارة وقالت متوسلة :

— لا ترفض طلبي يا كلود لانك الامل الوحيد الذي بقي لي في هـذا العالم . . أنت طيب القلب كثير العطف على أصدقائك نبيل سامي المبدأ رقيق العواطف لا يرضيك أن ترى الخراب يسحقنـا أمام عينيك وأنت واقف تنظر الينا بدون رحمة وبدون أن تمد الينا يدك بالمساعدة لدفع الخطر عنا ولانقاذنا

— لا أستطيع أيتها العزيزة أن أمد لكم يد المساعدة

فارتعجت هورتيس من القسوة التي يبديها كلود وعهدها به غير ذلك فامسكت يديه وجعلت تحدق في عينيه بذهول ثم قالت .

— لماذا ترفض هذه المساعدة ؟ ماالذي أسأنا به اليك حتى امتنعت الآن عن مساعدتنا في وقت الشدة المرهقة

وحين الحاجة اليك ؟

فجذب الشاب يده من هنريت ثم انتصب واقفا أمامها في تهيج عصبي عظيم وقد أبرقت عيناه وارتجفت يداه ونظر الي عيني الصبيه نظرة طويلة وهم بالكلام ثم عاد فامتلك هذيان نفسه المهتاجة فكظم غيظه وعاد الى سكونه المألوف وقال :

— لم يسيء أحد الى . إنما امتنعت عن مد يد المساعدة اليكم بسبب عجزى عن هذه المساعده لان المال الذى تطلبينه منى الآن أحتاج اليه كل الاحتياج لحفظ تجارتي من الارتباك والخسارة . أنت تطلبين منى الآن دعامة حياتى وأساس ثروتي فاذا أفرطت فيها ارتبك عملي وخسرت العمل الذى حصلت عليه بعد شقاء طويل وعناء لا يحتمله انسان بشرى على سطح الارض وقد بلغت الآن سنا لا أستطيع معه التضحية ثم العودة الى المغامرات واحتمال أنواع الشقاء وصنوف العناء لتجديد الثروه من طريق العمل المجهد فكأنك تطلبين المساعدة بوسيلة واحدة هي تضحية هنائي لدفع الخطر عن المصنع الذي فيه ثروة عائلتكم وهذا الذى لا استطيع تضحيته ، مهما كانت الصداقه التي بيننا .

— اذا مددت الينا يد المساعدة لا نتركك تبارح البيت وتبقى معنا

— لا أستطيع أيضا البقاء معكم لانني على يقين من أن وجودي معكم يضجر منه العم برتران وأنا لا أحتمل البقاء فى بيت رغم أنف صاحبه .

— أنت فى قولك قاس وظالم يا كلود .

— بل أنا رجل صريح يذكر الحقيقة بدون تحريف أنا شقى تعذبت فى صغرى عذابا لا يحتمله احد ولا يصبر عليه أحد وقد وصلت باجتهادى الى حال تجعلنى ناعم البال مغتبطا بالحياة الهادئة المنتظمة فلماذا تريدين مني أن ابدل الاطمئنان بالانزعاج والحياة الهادئة الهنيئة باخرى مرتبكة شقية ? التضحية التى تطلبينها مني يا عزيزتي معناها الانتحار وانا لا انتحر حبا فى انقاذ بير ووالده الذين لم يرحماني يتيما ولم يعطفا على صغيرا .

كانت لهجة الشاب خشنة وصوته يدل على القسوة كأنه يبتهج بوصول المصنع واصحابه الى تلك الحال السيئة وكأنه يتشفى بهم انتقاما من الذين خلت قلوبهم من الرحمة يوم كان

صبيا يظله يتيم ويتيما يحتاج لعطفهم فكان البيت جحيما وكانت القلوب قاسية نافرة .

فادركت هنريت انها اخطأت بطلبها المساعدة لزوجها وابيه من الرجل الذى آلمها واعتمد القسوة فى معاملته ظنت الساذجة الطيبة القلب ان مرورا الاعوام الطويلة انست الشاب آلامه الماضية فلما ذكرته بالماضي ظهر قلبه ممتلئا بالحنيظة والذل وتجسمت امامه مشاهد الماضى كله وقسوة الشيخ برتران ونفور ولده فتنبهت فى الحال آلام الشاب واهاجت اعصابه وأكرهته على مقابلة القسوة بالقسوة والخشونة بطلب الفرار من تأدية واجب المروءة

تألمت هنريت ألما بالغا من كلود الذي قابل التماسها بالرفض وتوسلاتها بالخشونة والقسوة ولم تعد تطمع بالحصول على المساعدة التى تسأله إياها ولا بالابقاء على مؤدة ذلك القاسي المغيظ الكيد الذى عاملها معاملة عدو وجابهها بنشر الماضى مجابهة مؤلمة مخجلة فلم تعد تفكر الا فى التخلص من هذه المقابلة وابتعاد كلود فقالت .

ـ أنت على حق في كل ماذكرت ياكلود فمن حق كل

انسان أن يتصرف بماله كيف شاء أو يحبسه احتفاظا به فسامحني على ازعاجك بهذا السؤال واسمح لي بالانصراف لانني لا أستطيع احتمال هذا الموقف قالت هذا ونهضت مغمضة العينين لتخفي عن الشاب القاسي القلب دمعة ترقرقت بين جفنيها واتجهت الى الباب بشكل يدل على مقدار ماتعانيه من الالم الشديد . فانزعج كلود في تلك اللحظة وندم على الخشونة التي لجأ اليها في مخاطبة هنريت الطيبة القلب التي عاملته من زمن بعيد معاملة الصديقة المخلصة المطوفة . تأسف على مابدأ منه نحوها أسفا عظيما وتردد فيما يجب ان يفعله ليمحو من نفسها الاثر السيء الذي أوجده فيها ولو بقيت لحظة واحدة ودّر في تلك الحال لامكن التغلب عليه بعد زوال تهيجه فقد تنبه اليها ولكنها لم تحول نظرها وخرجت مسرعة كأنها تف وارتد خلفها الباب

فازداد تألم كلود من الحال التي انتهت بها تلك المقابلة فضرب الارض بقدمه من الاستياء وقال انه يحاول ان يجد مبرر لقسوته .

ـ لقد أساؤا الي في صغري فليس لهم أن يطلبوا مني

المساعدة الآن تجب عليهم أن يتحولوا الي درينر فهو الذى يقضي عليه الواجب بانقاذهم من هذا المأزق الحرج

ميشيلين

في صباح النهار الثاني عند الساعة السابعة صباحا وصلت ميشيلين في عربتها الى منزل كلود ومعها مربيتها صوفيا وكانت الفتاة الجميلة فى حال تدل على الانزعاج والتألم . فسألت باتست خادم كلود هل هو فى المنزل أم خرج مبكرا فاستولت الدهشة على الخادم لمجيء تلك الزائرة المبكرة وقال .

— هو فى المنزل أيتها الآنسة قضى الليل كله خارج البيت ولم يعد الا من برهة قصيرة .

— اذن إذهب اليه وبلغه نبأ حضوري لمقابلته

— فتردد الخادم لانه خشي أن يكون فى ذهابه الى غرفة مولاه مايزعجه ويحدوه الى السخط عليه فقالت ميشيلين

— هل أمرك مولاك برد بابه فى وجهنا اذا حضرنا لزيارته ؟

فازداد ارتباك الخادم وخجله وقال :

— لا يا سيدتى

— إذن اذهب اليه وبلغه نبأ حضوري وسأبقى في قاعة الاستقبال لانتظاره .

قالت هذا واتجهت إلى غرفة الاستقبال وارتمت على مقعد وغطت وجهها بيديها . أما الغلام فذهب الى غرفة مولاه وأخبره بحضور ميشلين ومربيتها صوفيا فاستولت عليه الدهشة وارتجف غضبا وهو يقول :

— لقد التجأوا إليها هي فأرسلوها إلي . . لقد أخطأوا وسأريهم أني لا ألين ولا أضحي نفسي من أجله :

بدل الشاب ثوبه بآخر وذهب إلى قاعة الاستقبال فنهضت صوفيا لاستقباله وهمت بالاعتذار له علي حضورهما مبكرتين فمنعتها ميشلين من الاسترسال في الاعتذار فقالت .

— لم أجيء في هذه الساعة للاعتذار اليك عن حضورنا إنما جئت لاطلب اليك الخلوة بك وقتا ما لامر هام وستذهب مربيتي الى عربتي لانتظاري بها

فاستولت الدهشة علي الآنسة صوفيا من هذه المفاجأة وأدركت أن الذي يحمل الفتاة على مثل هذا التصرف باعث عائلي خطير فاحترمت مشيئة ميشلين وخرجت إلى الحديقة

وأنتظرت فى العربة أما الفتى والفتاة فبقيا فى القاعة إزاء بعضهم كخصمين يتحفزان للمعركة . فأشار كلود إلي مقعد يطلب الى ميشيلين أن تجلس وكانت الحسناء مقطبة الجبين ممتقعة الوجه فلم تطع وذهبت إلى النافذة ففتحتها لانها كانت فى حاجة الى الهواء البارد ثم تحولت الى كلود وقالت :

ـ كلود أنت تعرف الحال السيئة التى وصل اليها أهل قصر لاكوتنيير ولقد عرفت اليوم صباحا مادار بينك وبين أختي هنريت من الحديث . سمعتها عند طلوع النهار تبكي في غرفتها فقصدت اليها فوجدتها تبكي بين ذراعى بيير زوجها ولم تغمض عينيها طول الليل بسبب اليأس القاتل الذي استولى عليها . وقد رثيت لها وتألمت

وكان الشاب يصغى اليها وهو واقف فى مكانه الاول لم يتحرك منه فقال

ـ أظن أن أختك أو زوجها هو الذي رأي أن يرسلك الي لاعتقادها أو لاعتقاده بأنك تبلغين الى مالم تبلغ اليه هنريت ولكني . . :

ثارت عزة نفس الفتاة ثورة عظيمة فنظرت الى كلو-

نظرة احتقار حبست الالفاظ فى مخارجها ثم قالت بلهجة تدل على ما فى نفسها من الحنق والاحتقار .

ـ أنت مخطىء ياهذا لم يخطر ببال أحد أن يوفدنى اليك بعد القسوة التى أبديتها أمس فى مخاطبة أختى . أما حضورى اليوم فانه بمحض ارادتى وبدون علم أي انسان

— هل أصدق ماتقولين ؟

— يجب أن تصدق كل ما أقوله لك لانى لم أعتد الكذب فأختى لم توجهنى اليك بل أنا التي ذكرت اسمك أمامها وأكدت لها أنك ذو مروءة فأكرهتها على طلب المساعدة منك

— أنت التي أغريتها بطلب المساعدة منى !

— نعم أنا ... أزعجنى ماحاق بهذين الشخصين العزيزين اختي وزوجها وخشيت أن يسحقهما اليأس فذكرت اسمك لهذا بيت وذكرت لها أنك طيب القلب عالى المروءة فلا يجدونك هذا للحفيظة لأنى لازلت صغيرة السن قليلة الاختبار فكان هذا سببا فى تصديق ما كنت تؤكده لى من الصداقة المتينة والود الصحيح وكان أيضا باعثا على اعتمادى عليك وثقتى

بك .. نعم كانت ثقتي بك عظيمة وكنت أعتقد انك طيب القلب شريف المبدأ عالى الهمة كبير المروءة يصح الاعتماد عليك في وقت الشدة . أقنعت اختى هنرييت بأن لك كل هذه الصفات فأكرهتها على ما عرضته عليك أمس فكان جوابك على التماسها الرفض . فلما بلغ إلى رفضك لم أشأ أن أصدقه وجئت اليوم لأسمع كلمة الرفض من فمك أنت . . . أما الآن فانني لا اريد أن أسمع هذه الكلمة منك لان مقابلتك وألفاظك ونظراتك ولهجتك وخشونتك أعلمتنى عن كلمة الرفض التى جئت لأسمعها منك وعلمتني درسا يجعلنى أكف عن حسن الظن بالناس وعن الاعتماد على الغير ولو كان أصدق الاصدقاء وأقرب الناس إلى أشكرك كثيرا على هذا الدرس النافع يا كلود فانه يستحق الشكر عليه حقيقة

فلما انتهت من عبارتها ضحكت ضحكة تدل على الحنق وعلى التألم . وكانت متحمسة وهى تتكلم وقد صبغ الغيظ وجنتيها بلون الورد وأوجدت عزة النفس فى عينيها لمعانا بديعا جعل لنظراتها قوة تأثير عظيمة جعلت كلودير تجف كلما وقعت عليه تلك النظرات . فامتقع وجهه عند ما سمع عبارة ميشيلين

ثم قال بصوت ضعيف :

ـ أراك تجردينى من طيبة القلب والمروءة ياميشيلين لانى رفضت التماس اختك هنريت ولـكننى بنيت الرفض على أسباب وجيهة تستدعى أن ارفض هدم مستقبلى بيدى ليس لى هذا الحق ؟

ـ لقد ذكرت لى اختى كل الاسباب التى تقول عنها انها وجيهة . وأقول عنها انها أسباب مختلفة لا قيمة لها ولو كنت أنت فى الذى وقعت فى المأزق الذى وقع فيه بيير ماترددت أبدا فى مساعدتك ولبذلت كل جهدى وكل أملك لانقاذك .

فارتجف الشاب عند سماعه هذه العباره وقال

ـ أنت . . . . !

ـ نعم . . أنا . . أقسم لك بشرف أننى لا أتردد فى تلك الحال لحظة واحدة فى تضحية كل شىء لانقاذك

واجب تسوقني اليه المروءة أؤديه لاصدقائي ولو قصروا هم في تأدية الواجب عند الضرورة

انتفض كلود من وقع هذه العبارة فى نفسه وقال

ميشيلين.. !

نطق باسم الفتاة مجردا عن اللقب لاول مرة فى حياته فنظرت اليه الفتاة نظرة فاحصة لان صوته تبدل من الخشونة الاولى الى رنة جديدة تدل على العطف والحنان . فاسترسل الشاب فى حديثه قال

لا ياميشيلين لست جبانا ولا ضعيف الهمة ولا قليل المرؤة كما تتوهمين لقد نشأت رجلا احب الرجولة وأعمل كل ماتستدعيه المرؤة والاخلاص التام ولكنني لم أصادق طول حياتي انسانا له هذه المبادىء والصفات غيرك أنت وهذا هو السبب الذى حداك الى اعتبار رفضى مساعدة بيير جينا ونذالة والى اعتبار الاسباب التى ذكرتها لهنريت مختلقات غير وجيهة ولا وزن لها ولا قيمة مبادئك السامية ومروءتك الكبيرة هما الباعث الذي بعثك على وزن الامر وزنا صحيحا لا يزنه الناس لانهم ينظرون الى التصرفات بعيون المصلحة المادية لا بعين المروءة نعم ياميشيلين لقد كانت الاسباب التى بنيت عليها الرفض أسباب مختلقة غير وجيهة ولهذا أكف الآن عن الامتناع الاول وأضع تحت تصرفك كل ثروتي لتتغذى بها أختك وزوجتك

ـ أنقذ المصنع من الافلاس ومهرك من الضياع مع رأس مال المصنع وسأمكنك بانقاذ المهر من الاقتران بالمسيو دورنير خطيبك :

فاتقدت عينا الفتاة بنار الغضب واتجهت الى كلود بشكل يدل على الغضب والانزعاج وقالت .

ـ لا تذكر ثانيا إسم درنير فليس اهتمامي إنقاذ المصنع رغبة فى إنقاذ مهرى لأتمكن من الاقتران بذلك الرجل إنما كل اهتمامي الباعث عليه رغبتى فى إنقاذ أختي هنريت من اليأس وزوجها من الخطر . وأنا الآن كثيرة الاعجاب والفخر بما أبديته من الرغبة فى المساعدة .. نعم كثيرة الاعجاب والفخر بك لأنني وجدت لك الصفات العلية التي اعتقدت من زمن أنها لك . طيبة القلب والهمة والمروءة

ـ أنا لا أدعى أن لى كل هذه الصفات إنما أعتقد أنني شقى بائس سيء الحظ منكود الطالع .

ـ لست أجهل ما احتملته في صغرك من قسوة الناس وخشونتهم فى معاملتك وقد جهل ذووك كثيراً الى الآن نفسك الكبيرة وقسوا عليك فى صغرك وتصرفوا معك

تصرفات مهينة محقرة فى كبرك لقد تألمت كثيراً يا كلود.
من صغرك أما الآن وقد صرنا أصدقاء فسأهتم بأمرك جد
الاهتمام وأجعلك سعداً نغبط بالصداقة وبالحياة معنا وبيننا .

ثم نظرت إليه نظرة حنان وعطف وقالت

ـ سأكون أختا لك أحوطك بطيبة القلب التي لم تعرفها
من قبل وبالاخلاص الذي تستحقه فتكون صداقتي لك من
البواعث على نسيانك الآلام الماضية وعلى الاغتباط والسعود
بالهناء والسعادة :

أشكرك جد الشكر يا ميشيلين على هذه الطيبة وعلي
العطف الذي تبدينه لي ولكنه حلم لذيذ لا يمكن أن يتحقق
لأني كنت لا أستطيع البقاء هنا بجانبك وسأعود الى
الأرجنتين.

فانزعجت ميشلين وقالت .

ـ تعود الى الارجنتين ! هل تريد أن تتركني وحدي
لست انكر أن هنرييت تحبني كثيرا وتعطف علي
ولكنها متزوجة وأخي فى الجيش غير مقيم معنا وأنت
الصديق الوحيد المخلص لى الذي أبادله الاحترام فهل تظن

أنني أسمح لك بالسفر والابتعاد عنا !

— ميشلين . . ميشلين تذكرت أنك ستقترنين قريبا فتشغلك الحياة الزوجية عن العالم القليل لسفر صديقك وغيابه من هذا البلد. لقد قبلت اليوم أن أنقذ المصنع من خطر الافلاس ليستطيع بير أن يرد لك المهر فتتمكنين من الاقتران بالمسيو دريتر .

— لا تتوهم يا صديقي ان هذا القران سيتم . لقد قبلت الاقتران بذلك الرجل الذى أنفر منه وأحتقره قبلت مكرهة ضحيت نفسي وهنائي لكي أنقذ المصنع من الافلاس وأختي وزوجها من اليأس ظننت أن دريتر بقبولي الاقتران به يساعد بير ويشتري منه اختراعه الجديد فينقذ المصنع بالثمن الذى يدفعه ولكن دريتر أدرك الحال السيئة التى وصل اليها المصنع فرفض أمس المساعدة التي طلبت منه رفضا باتاً

—أمر غريب يدعو الي الدهشة . ولكن امتناع الرجل لا يمنعك عن الاقتران به أو بسواه فانت جميلة متعلمة لا تعدمين زوجا أعظم من دريتر ثروة وجاها وأدبا

فسكتت الفتاة برهة قصيرة وهى تنظر الي كلود نظرات

كلها عواطف وحنان ثم قالت .

— يلوح لي أنك لم تدرك الي الآن السبب فما نفوري من طالبي الزواج الذين يطلبون يدى ألم تدرك يا كلود أنى أحبك أنت ؟

فبدرت من الشاب صرخة تدل على الدهشة والابتهاج ثم ضم اليه الفتاة وجعل يقبل شعرها بشوق ووجد ثم قال ودموعه تنحدر غزيرة على وجهه

— هل هذا صحيح يا ميشيلين ! هل من حق أن ابتهج هل من حق أن اصدق بان الحظ بدأ يبتسم لى وبان لى نصيبا من الهناء والسعادة فى هذا العالم الذى لم أعرف فيه غير صنوف الشقاء

فتأوهت الفتاة وقالت

— لقد نبغ الرجال في كثير فى الطب والهندسة وحتى فى الفلك فامكنهم أن يدركوا ما فى غير هذا العالم ولكنهم لم يظهر فيهم رجل الآن يبلغ نظره إلى أعماق قلب المرأة القريبة منه ليعرف مافيه كان قلبها أكثر تعقيدا من الهندسة وأعظم بعدا من الاجرام الشامخة فى الافلاك ثق يا كلود بأنى أحبك من زمن بعيد وبأنى تعذبت جد العذاب عند

سفرك الى أمريكا وعند اضطراري لقبول دونير زوجا لى . .
كنت أضحي قلبي ونفسي وسعادتي لانقذ أختي وزوجها مع
علمي بما لك فى نفسي من المحبة المتمكنة ومع يقيني بأني أسحق
بذلك الزواج قلبي وأهدم صرح هنائى طول الحياة . . فابق
إذن بجانبي ولا تبتعد عني ودعنى أنسي ساعات العذاب الذى
احتملته بسبب غيبتك وجهلك ما فى هذا القلب من الحب
والحنين اليك .

فضم الشاب الفتاة الى صدره وقال :

ـ سأنسيك كل الماضي ياميشيلين لتهنأ معا بالمستقبل

الشك

زارت ميشلين كلود بعد ذلك وأخبرته بان الاوراق الخاصة بالاختراع الجديد الذى توصل اليه بيير سرقت من الدرج الذي كانت موضوعة فيه فى المصنع . قصت عليه القصة المزعجة واليأس الذى استولي على زوج اختها والجزع الذى نال الجميع بسبب ضياع هذا الاختراع. وكان كلود يصغى اليها ولكنه مغمض العينين شارد الفكر كانه لا يعى ماتقصه عليه حبيبته . فلما انتهت من قصتها قال :

ـ عودي فى الحال الي قصر أختك وقولى لبيير انني ذاهب للبحث عن الاوراق المسروقه وأن أملى بالحصول عليها عظيم وربما رددتها له اليوم أوغدا

ثم دق الجرس وأمر خادمه باسراج الجواد فنفذ الخادم أمر مولاه بسرعة فودع كلود من ميشلين وامتطى جواده وابتعد به بدون أن يذكر لها الجهة التى يقصد اليها فبقيت الفتاة تنظر اليه حتى اختفى وراء أشجار الغابة ثم ركبت عربتها

وعادت الى قصر اخيها

عاد الشيخ برتران منزعجا الى بيته الخاص وقص علي زوجته وعلي إيفون ابنته نبأ الافلاس الذى يهدد المصنع وامتناع صديقي ولده ماسون ودرنير عن مد يد المساعدة اليه ورفض درنير ألاقتران بميشلين عندا عتقاده بضياع مهرها بافلاس المصنع ثم زاد علي هذه الحوادث المزعجة نبأ سرقة الاوراق الخاصة بالاختراع الجديد الذى توفق اليه ولده بعد أعوام قضاها فى التعب والجد والاجتهاد والبحث المضنى والتجاريب الكثيرة

بكي الشيخ من اليأس والقهر وبكت السيدة برتران وإيفون وحاولت الزوجة والابنة تلطيف آلام الشيخ بكل ما تستطيعان من الوسائل والمواطف ولكن آلام برتران كانت [illegible]

— لقد عرفت السارق الاوراق وسألاحقه وعدت اليوم من قصر ولدى إلا لهذا السبب لأنى اريد أن أبلغ الامر للنيابة

— السارق ! هل عرفت السارق ؟

— نعم . . هو المسيو شغالييه المعلم الذي عهدت اليه بتعليم ولدى :. لقد رآه بستانينا ـ لاتين ليلة عائدا من الغابة عند الفجر مع إنه لم يره عند خروجه من القصر . وقد رآه فى مونتيفليير بالقرب من المصنع فى إحدى الليالى وهوعائد من السهرة . فما السبب الذى حدا بهذا المعلم إلى الخروج من قصرنا بدون علمنا والذهاب إلى المصنع ؟ لقدسمعنا نذكر أمامه كثيرا أمر الاختراع الذي وفق اليه بيير ولدى فطمع بالحصول عليه وجعل يتتبع الفرص لسرقته حتي توصل الى ذلك فى الليلة الماضية

فاعترضت ايفون والدها قالت·

ـ هذا مستحيل ياولدى . مستحيل ان يكون المسيو شغالييه سارقا

استولت الدهشة علي برتران لاعتراض ابنته وسألها عن السبب الذي يجعلها تجزم ببراءة المعلم من التهمة التى نسبت إليه [illegible] وأبت الفتاة التصريح بالأسباب وجعلت تلح على والدها [illegible] إبلاغ الشكوى الى النيابة توسمت اليه

برجاءوالحاح ثم بدمعها الغزير فلم تتوفق الى اقناعه ببراءة المعلم لانها لم تقدم لوالدها أدله على تلك البراءة إنما توفقت الى حيلة على تاجيل الشكوي يوما واحدا وكان غرض الفتاة من ذلك استدعاء الكابتن دورشان من الجيش برسالة برقيه ليتولي بنفسه الدفاع عن صديقه شفاليه

ولكن الصدفة خدمت القوم فى هذه المدة فوصل الكابتن قبل أن ترسل إيفون رسالتها عادت الفتاه الى البيت مبتهجه ومعها الكابتن فاخبرت والدها بانها ذهبت إلى مكتب البريد لارسال الرساله البرقية فصادفت الكابتن آتيا من من المحطة فجاءت به اليه

وحى القادم الشيخ وزوجه وشهد أمامها بان المسيو شفاليه صديقه الحميم ثم قص القصة المؤلمة التى حدت ذلك لضابط النابغ الى الاستقاله من خدمة الجيش ليجد عملا يربح منه قدرامن المال يكفى للانفاق على عائلته وعدد الكابتن الصفات الطيبة التى امتازبها صديقه دون بقية الضباط الذين نشأوا معه فى المدرسة أو عاشرهم فى الجيش

فاطمأن الشيخ برتران وزالت شكوكه التي جعلته يتهم المسيو شفاليه وعقد العزم على التكفير من خطئه بوضع الرجل في المركز الحقيق به في قصره وبين اصدقائه

ووصلت الى القصر في ذلك الوقت هنريت وميشيلين فعجب القوم لحضورهما لان الظروف السيئة التي في بيتهما لا تمكنهما من الانتقال للزيارة . ورأت هنريت دهشة القوم فقالت تطمئنهم

ـ والدي . . . والدي . . . لقد نجونا من الخطر . . . لقد زالت الأزمة التي كانت تتهدد المصنع بالافلاس . .

لقد جاء كلود لمساعدتنا ودفع كل المبلغ الذي نحتاج اليه:

فاستولى العجب على الشيخ برتران عندما سمع اسم كلود فقالت هنريت :

ـ الفضل لاختي ميشلين لانها كانت حسنة الظن بكلود فأثبت الشاب بعمله ما كانت تعتقده له من المروءة فدفع المال الذي نحتاج إليه بدون شرط ولا قيد . وظهر أيضا أن ميشلين تحبه وأنه يبادلها ذلك الحب الصامت من زمن بعيد فتم الاتفاق بينهما على الزواج

فابتهجت ايفون وصفقت من شده الابتهاج ثم ارتمت على صدر ميشلين تقبلها وتضمها الي صدرها وهي تقول :

ـ ما اعظم ابتهاجي وسروري اليوم يا ميشلين

وقال الشيخ برقران..

ـ ولماذا لم يحضر معكما يا هنريت ؟

ـ لم يحضر معنا لانه ركب جواده وانطلق في أثر اللص الذي سرق الاوراق من المصنع .

فزاد تعجب الرجل وقال :

ـ هل يعرف السارق ؟

فقالت ميشلين:

ـ أظنه يعرفه لانه عند ما سمع مني قصة السرقة لم يتردد أبدا فى اختيار السبيل الذي يسير فيه لتلافى الامر بل ركب جواده وانطلق به ينهب الارض وأكدلي أنه سيجد الاوراق.

الخاتمة

بعد ساعة من وصول ميشيلين الي قصر الشيخ برتران وصل كلود إلى القصر أيضا فنهض الشيخ برتران لاستقباله فتح ذراعية وضم الشاب الي صدره وهو يقول:

حقا أنت من ذوي المروءة يا كلود . لقد أنقذت ولدى من الافلاس .

فقبل الشاب الشيخ وهو يقول .

— هذا واجب على . . الست ولدكم ربيت فى كنفكم ونشأت فى بيتكم .

ورأت هنريت ارتباك الرجلين بالتأثر الشديد البادي عليهما فارادت مساعدتهما على التخلص من ذلك الموقف فقالت

— دعنا نعرف يا كلود نتيجة ذهابت للبحث عن الاوراق المسروقة .

فتخلص الشاب من ذراعى الشيخ برتران وأخرج الاوراق من جيبه ثم وضعها على المائدة وقال :

— ما هى الاوراق التي سرقت منكم .

وكان بيير قد وصل الى القصر أيضا فتحقق من الاوراق ثم سأل كلود كيف تمكن من الحصول عليها . فضحك كلود وقال :

وجدتها فى حقيبة المسيو درينر خطيب ميشلين سابقا وجدتها معه فى الحقيبة وهو يريد اجتياز الحدود والانتقال الى سويسرا .

فاستولت الدهشة على الحاضرين وسكتوا كأن على رؤوسهم الطير وبعضهم لا يصدق ما سمعته أذنه فقال السكابتن دروشان

— اذن قص علينا القصة لنعرف كيف وصلت الاوراق الي حقيبة ذلك الغنى الشريف ؟

— علمت أمس من ميشلين نبأ رفض درنير الاشتراك معكم فى المصنع ورفضه ايضا شراء الاختراع الجديد والاقتران بميشيلين فتولاني العجب لان درينر كان قوى الرغبة فى الحصول علي الفتاة وحدث انى كنت عائدا بعد منتصف الليل من سهرة فصادفت درينر بالقرب من المصنع متجها الى الغابة ثم رأيته

يركب سيارة خبأها هناك مطفأة المصابيح فتعجبت لامره ولم يخطر ببالي أنه جاء للسرقة فلما زارتني ميشيلين فى الصباح وقصت على قصة فقد الاوراق أدركت السبب فى مجيء دربنر الى المصنع ليلا ولم أشأ اضاعة الوقت سدى فانطلقت فى أثره وأنا على يقين من أنه سيحاول اجتياز الحدود على أول قطار يقوم الى سويسرا . وقد صدق ظنى فقابلته فى باريز في المحطة ينتظر القطار فاخذت منه الاوراق .

وضحكت السيدة برتران وقالت .

ـ المهم أن نعرف كيف أمكنت أن تأخذها منه :

ـ قابلته كما يقابل الرجل اللص المتلبس بالجريمة كلمته بصراحة وأخبرته بأنني على يقين من انه هو الذي سرق الاوراق وأنها فى الحقيبة التي فى يده فاظهر الدهشه والاحتقار وهم بالدفاع عن نفسه فأخذت الحقيبة من يده بالقوة وانذرته بسوقه الي قسم البوليس إذا رفض رد الاوراق فى الحال فانزعج وتولاه الارتباك ففتحت الحقيبة امام عينيه وأخذت الاوراق منها ثم القيتها في وجهه وتركته فى المحطه وانصرفت

فظهر الامتعاض على وجوه الحاضرين وصاح بيير يقول

ـ بالله لقد كدنا نقع جميعاً فى يد ذلك اللص المحتقر . . كدنا أن نسلمه المصنع وميشيلين أيضا فأنقذنا الله برحمته وبمروءة كلود الذى لم نعرف طيبة قلبه وسعدنه الكريم الا الآن . .

وقال دورشان

ـ كنت أتمني ان أري وجه ذلك اللص السافل وكلود يخرج الاوراق من حقيبته

وتناول الجميع طعام الغداء ثم أنصرفت السيدات وتركن الرجال للمناقشة في موضوع المصنع وإدارته ثم استدعى دورشان صديقه شفاليه ليشاركهم فى المناقشة فتم الامر بينهم أن تترك الادارة لكلود وأن تترك الابحاث الفنية لبيير وقال كلود

— لم يعد ينقصنا غير رجل خبير فى الهندسة الميكانيكية لمباشرة العمال

فاتفق الجميع على انتداب المسيو شفاليه لهذا العمل بمرتب كبير يزيد عن المرتب الذى تريد أن تدفعه له الشركة

الانكليزيه فى الصين

وستقدم الكابتن دورشان فعانق صديقه وقال

ـ وستقام لك إيفون عروسا لك لنضمن بقلبك يقينا بقية أيام الحياة فانى على يقين من انكما تتبادلان الحب الصامت بدون أن يجرأ أحدكما على التصريح بما فى نفسه

فارتبك شفا لييه ولم يستطع الكلام فأخفى وجهه فى صدر صديقه ليخفى دموع السرور التى فاضت من عينيه. فوافق الجميع على اقتراح الكابتن ولم يرفض الشيخ برتراف اقتران ابنته بالضابط النبيل فتجلت مروءه الجميع فى تصرفاتهم واقترنت ميشلين بكلود وإيفون شفالييه فى ليلة واحده. وعاش الجميع فى هناء وغبطة بفضل مروءه كلود وطهارة قلوب الجميع

تمت